Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
Print ISSN: 2710-095 Electronic ISSN 2790-1254
عدد خاص بالمؤتمر العلمي الدولي الثامن لكلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية – جامعة بغداد بعنوان
التكامل المعرفي للدراسات التربوية والاجتماعية

مَظَاهِرُ الحَيَّاةُ الدُّنْيَا فِي القُرآنِ الكَرِيْمِ (دِرَاسَةٌ تَحْلِيْلِيَّةٌ)

م.م. ورود خالد عبّاس
كلية الحقوق/ جامعة النهرين
waroud.khaled@nahrainuniv.edu.iq

المستخلص
جَرَتْ سنة الله وأحكامهِ في هذا الكون، ووضع لكلِّ شيءٍ مقداراً، وبيَّن ذلك وأوضحه في كتابه الكريم الناطق بالحق عن الحق، وجاءَ القرآن الكريم مُعجزاً من لدن حكيمٍ خبيرٍ، فوَضَّحَ لنا كل شيء من بدء الخلق وحتى البعث والنشور، وعالج المثل القرآني مظاهر الحياة الدنيا بصياغةٍ بيانيةٍ وبديعيةٍ فريدةٍ معجزةٍ، تُلفت القارئ والمُتلقي إلى الحقائقِ العظيمةِ والمتجليّةِ، من هنا جاء هذا البحث كاشفاً بصورته التحليليّة عن الأساليب المستعملة في وصف مظاهر الحياة الدُّنيا، التي جاء وصفها بشكلٍ مُتكرر في القرآن الكريم؛ مما استدعى الوقوف والتأمل، وقد اقتضت مادة البحث أن تكون في مبحثين، يسبقهما مقدمة، تناول المبحث الأول: مظاهر الحياة الدنيا وفقاً للسياق القرآني، وجاء المبحث الثاني كاشفاً عن الدراسة التحليليّة بما فيها من صور تشبيهية واستعارية وكنائية ومجازية وتضادية، وألحقته بخاتمةٍ تُبيّن أهم النتائج التي توصل إليها البحث.
الكلمات المفتاحية: (المظاهر، الحياة الدنيا، اللهو واللعب، الزخرفة والزينة، التفاخر والتكاثر، المتاع والغرور، التصوير الفني، التناسق الزمني).

Abstract
God's established order and decrees govern this universe, and He has ordained a measure for everything. He has clarified and explained this in His Holy Book, which speaks the truth about the truth. The Holy Qur'an came as a miracle from the All-Wise, the All-Knowing, clarifying everything for us from the beginning of creation until the Resurrection and the Gathering. The Qur'anic parables address the manifestations of worldly life with a unique and miraculous rhetorical style that draws the reader's attention to the great and manifest truths. Hence, this research comes to reveal, through its analytical approach, the methods used in describing the manifestations of worldly life, which are described repeatedly in the Holy Qur'an. This prompted reflection and contemplation, leading to the research being divided into two sections, preceded by an introduction. The first section addresses the manifestations of worldly life according to the Quranic context. The second section presents an analytical study, including similes, metaphors, metonymies, figurative language, and contrasts. A conclusion summarizes the most important findings of the research.
Keywords: (manifestations, worldly life, amusement and play, adornment and embellishment, boasting and accumulation, pleasure and vanity, artistic imagery, temporal harmony).

المقدّمة

تبرز مظاهر الحياة الدنيا بصيغٍ ومواطن متعددةٍ في القرآن الكريم، يعالجها بصورة فنية مُلهمة -حسيّةٍ ومعنويةٍ-، تحمل بين طياتها معاني الحقيقة العظيمة، ومفاد الحياة الدنيا وصورتها ومآلها، وقد عالج القرآن الكريم هذه الآيات بصور قد تُشعر القارئ والمُتلقي أنها محدودة ومُكررة، ولكن التدبّر والتمعن فيها يفضي إلى حقيقة مفادها أن هذا التكرار لم يجيء اعتباطاً، بل أكدَ لنا على حقيقتها، للتحذير والاتعاظ منها، كما أن محدودية هذه الأوصاف تُفضي إلى محدودية هذا العالم أمام العالم الكبير الذي أعدّه الله لعبادهِ المتقين، فالتعبير القرآني لا يعد (الحياة الدنيا) حياة بل هي دار عبور، وإنما الحياة الحقيقية هي الحياة الباقية الأُخرويّة، من هنا فإن بعض الآيات جاء عن طريق الخطاب المباشر، وبعضها الآخر عن طريق الصور الفنية التي يُشكلُّها الإعجاز القرآني بلوحة فنية عظيمة شاخصة، وتتفق هذهِ الصور التعبيرية جميعها على حقيقة واضحة وجليّة للعيان، وهي صغر هذه الحياة وقصر أمدها وأنها زائلة فانية لا بقاءَ لها ولا دوام، فالتعبير القرآني أكّدَ على هذه الحقيقة لِئلّا يركن الانسان إليها ويطمئن لها، فيصوّر لنا سرعة زوالها التي تخطف الأبصار.

يجمع المشهد التمثيلي للحياة الدنيا المظاهر الحقيقية في لمحات بيانية وإعجاز قرآني عجيب، فهو يجمع كل معالم الازدهار والنمو والزخرفة والزينة في صورٍ متقابلة مع التلاشي والذبول والزوال، وسرعة خاطفة مخيفة توضّح لنا حقيقة الحياة الدنيا وعدم الاغترار بها والركون إليها، فالآيات القرآنية الكريمة تضع أمامنا حقيقة الوجود في تكامله وحقيقة العدم في اضمحلاله، وبينما الحياة الدنيا ضاحكةً مستبشرة مُقبلة على أهلها في غمرةٍ وسرورٍ وسكرة من السيطرة والقوّة، وإذا بكل ذلك يضمحل بشكلٍ مفاجئ ويكونُ عدماً، وتنهدم المتعة والسرور والغمرة والسكرة فيستيقظ الانسان منها مذهولاً مذعوراً عديم القدرة والسيطرة، ويأتي الـأمر الإلهي في لحظةٍ ما دون سابق إنذار، ويتلاشى هذا العالم بأسرهِ ليلاً أو نهاراً، وينتهي النعيم، فكأنها ما كانت أو لم تكن بالأمسِ قائمةً مزهوةً، وتمتد الدلائل القرآنية لتصوّر لنا هذهِ الحقيقة التي يسعى البحث للإمساك بها والكشف عنها.

المبحث الأول
(مظاهر الحياة الدنيا وفقاً للسياق القرآني)

المظاهر لغة

أجمعت معاجم اللغة العربية على ارتباط مادة "ظَهَرَ" بدلالة الوضوح والبيان والجلاء الّذي لا خفاءَ فيه، على الرغم من تعدد معانيها، وأشار الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت175ه) إلى أن الظهور يُحيل إلى معنى "بدو الشيء الخفي، إذ يُقال: ظَهَرَ الشيء يُظهرهُ فهو ظاهرٌ، إذا انكشفَ وبرزَ، فهوَ يجمع بين البروز والقوة"(1)،يتوضّح مما سبق أن (الظّاء، والهاء، والراء) أصلٌ صحيح يدلُ على قوةٍ وبروز (2)،ويُقال: ظَهَرَ في القرآن واستظهرهُ، أي: بيّنهُ وأوضحهُ(3)وجاء في قوله تعالى :**{هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ}**(4)وأوضحهُ ابن منظور(ت711ه) بقوله: "هو الّذي ظهرَ فوقَ كلِّ شيءٍ وعلا عليهِ بآثارهِ وأفعالهِ وأوصافهِ"(5).

المظاهر اصطلاحاً

يُعرّف الدكتور كرماني المظهر استناداً إلى ما قالته المعاجم بقوله: "إن المظهر مستوى من الصياغات البلاغية التي يمكن للمتلقي أن يتلقاها ويتفاعل معها"(6)، فالظاهرة أو المظهر هي "أن يستفيض اسلوب مُعيّن في عمل أدبي حيث يتميّز عن الأساليب المشابهة له في ذلك العمل، وساعد تتبعه على تحليل بنية النص وفهمها فهماً دقيقاً"(7)،من هنا يتوضّح أن مصطلح المظاهر يدور حول الوضوح، والكشف، والإبانة، والبروز، وتوالي الدلائل الواضحة والبيّنة، وتعلّق ذلك كله بالأسلوب اللغوي والبلاغي في العمل الإبداعي، وقد وُظِفَ هذا المُصطلح في الكثير من الأعمال الإبداعية بمستوياتٍ مُتباينةٍ، ولاسيما في القرآن الكريم الّذي بلغَ حداً من الإعجاز اللغوي والبلاغي، وتحدّى به العرب، وكان مُعجزاً، من تناسق الأساليب ووضوحها للمتلقي، وصولاً إلى إعجازهِ اللغوي والبياني بما لا يُدانيه الشك والباطل.

الحياة الدنيا

الحياة لغةً "حيا" نقيض الموت، كُتِبَت في المُصحف بالواو ليعلم أن الواو بعد الياء في حد الجمع، وقيل على تفخيم الألف،..."حي" الحاء والياء والحرف المُعتل أصلان: أحدهما خلاف الموت، والآخر الاستحياء الذي هو ضد الوقاحة. فأما الأول: فالحياة والحيوان، وهو ضد الموت والموتان، ويُسمى المطر حيّاً؛ لأن بهِ حياة الأرض(8)والمراد هنا هو المعنى الأول، وهو خلاف الموت، **وأما اصطلاحاً**: الحياة تعني: "تعلّق الروح بالبدن واتصالها بهِ، وايجاد الحياة، معناه:

خلق الروح في الكائنات الحيّة، ومنها ايجاد الانسان"(9)من هنا نلاحظ توافق المعنى اللغوي والاصطلاحي في إنها خلاف الموتِ وتعلّق الروح في الكائنات الحيّة.

الدّنيا لغةً: "الدُّنيا نقيض الآخرة انقلبت الواو فيها ياءً؛ لأنها فُعلى، والجمع دُنا، وقيل الأصل دنوٌ، فحُذف الواو لاجتماع الساكنين، والدُّنيا أي: القريبة، وهي فُعلى من الدنو، والدُّنيا أيضاً اسم لهذه الحياة؛ لبُعد الآخرة عنها، والدُّنا ما قربَ من خيرٍ أو شرٍّ، ويُقال: دَنا وأدنى ودنّى، إذا قرُبَ، قال: وأدنى إذا عاشها عيشاً ضيقاً بعدَ سعةٍ، والأدنى: السُّفل"(10). **أما اصطلاحاً :**"دنا: الدُّنو القربُ بالذات أو بالحُكم، ويُستَعمل في المكان والزمان والمنزلة ..ويُعبّر بالأدنى تارةً عن الأصغر.، وتارةً عن الأرذل فيُقابل بالخير،.. وعن الأول فيُقابل بالآخر، نحو:{**خسرَ الدُّنيا والآخرةِ**}(11)(12).وأمّا **الحياة الدُّنيا**، فهي: "زمان الحياة على وجه الأرض"(13) نجد أن التعريف اللغوي والاصطلاحي يتوافقان حول: القُرب، والسفُل، والدنو، والضيق بعد السعة .

يسعى الإنسان طوال حياتهِ لتحقيق أهدافه وغاياته المادية والمعنوية: كالأموال، والأولاد، والزوجة، والمركز الاجتماعي، ويقضي حياته في سبيل الحصول عليها، وما بين هذا وذاك تخدعه الدنيا بملذاتها ومغرياتها، وتبهره بسحرها وزينتها، وبينما هو غارقٌ في ملذاته ومتعه وجمع الثروة والتهافت على المناصب والمراكز والأموال والأولاد، يلهو عن السبب الأساس الذي من أجله خُلِقَ ، فإن كل ما في هذه الحياة من مغريات ومتاع ما هو إلا وسيلة لاختبار الإنسان وامتحانه أيشكر؟ أم يكفر؟ ، وأما الواجب المطلوب منه فهو العبودية ، وعدم الغفلة عن الآخرة، والله سبحانه وتعالى خلق هذه النِعم والخيرات وترك للإنسان حرية الاختيار، وعقد المقارنة ما بين الجري ورائها وقضاء الحياة في جمعها وبين الجنة ونعيمها الدائم، وبعد ذلك فالله (سبحانه وتعالى) لم يمنع الإنسان من التمتع بما لديه من نِعَم منحها الله له، وإلّا ما كان الله ليمنحها له، ولكن شرط أن لا تُلهيه عما هو أولّى منها، وما لأجله خُلِقَ، فما في الدنيا من متاع لا يجزي عما في الآخرة من خير.

يرد تعبير الحياة الدنيا في القرآن الكريم عندما يُريد الله (سبحانه وتعالى) أن يُصوّر استغراق الإنسان في هذه الحياة، وعدم اهتمامه بما بعدها، واغترارهِ بأهوائها وشهواتها، فيُوصل تعالى بذلك رسالة للإنسان الغافل الذي يظن أن هذه الحياة هي الحياة، ولكنه لا يعلم أنها الحياة الدُّنيا لا العُليا، ولا الحياة الفاضلة السامية الحقّة(14).

يكشف القرآن الكريم عن طريق آياته المعجزة وسحر بيانه واسلوبه عن الوجه الخادع للحياة الدُّنيا الفانية التي لا تُعطي الضمان لأي انسان، فهي تمر كلمح البصر، ويُبيّن أن الحياة الدُّنيا بمثابة السَّراب الّذي لا حقيقةَ له، ولذلك أوحى الله للناس جميعاً بعدم الانجرار وراء ملذاتها ومُتعها الزائلة، وبيّن لنا حقيقتها، وأمرَ جميع البشرِ ألّا ينخدعوا بهذه الحياة وأن يُطيعوا أوامرهُ بقولهِ تعالى:{ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ** }(15).

أولاً- مظاهر السياق المعنوي للحياة الدُّنيا

(1)التحقير والتقليل من شأنها : تُحيل الآيات القرآنية على كثرتها إلى نظرة التحقير والتقليل من شأن الحياة الدُّنيا لا لذاتها فقط، وإنّما لمقارنتها بالآخرة، فهي ليست الحياة المثاليّة التي أراد الله لعباده السكون إليها، ويتوضّح ذلك من السياق، ومن ذلك قوله تعالى: { **وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ**}(16)،فيصف ما فيها بالمتعة السريعة الزائلة (المتاع والزينة) وهي لا تُقارن بما أعدّه الله لعبادهِ في الآخرة من خيرٍ دائم (خيرٌ وأبقى)، ويؤكّد أسلوب الاستفهام التوبيخي في(أفلا تعقلون؟) على نظرة التحقير، فهي ليست الحياة الحقيقية، وقوله تعالى: { **وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ**}(17)، فتقتصر دلالة الحياة الدُّنيا على (اللعب واللهو)عبر اسلوب الاستثناء المنفي المفرّغ الذي أفاد التوكيد وحصّر دلالتها بما بعد أداة الاستثناء، فيما تفتح دلالة (الخير) للآخرة بما فيها من سعة، مما يكشف عن النظرة الصاغرة للحياة الدُّنيا في القرآن الكريم.

(2)الزوال وسرعة الانقضاء: فلا بقاءَ لها، ولا تكاد تدوم على حالٍ، فهي رحلة قصيرة زائلة مُكلّلة بالهموم والمتاعب، وتوضّح ذلك الآيات القرآنية الكريمة، ومنها قوله تعالى:{ **وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا**}(18)، فالمثل القرآني وضّحَ دلالة الزوال عبر الصورة التشبيهية التمثيلية المعقودة المقارنة بصورة النبات الّذي سرعان ما يصفر ويكونُ حُطاماً، ومما يُزيد الصورة التمثيلية ويُرسّخ السرعة استعمال (الفاء) في (فاختلطَ) و(فأصبحَ هشيماً)الترتيبية التعقيبية العاطفة التي تُفيد السرعة الخاطفة دون فاصل زمني .

Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
Print ISSN: 2710-095 Electronic ISSN 2790-1254
عدد خاص بالمؤتمر العلمي الدولي الثامن لكلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية – جامعة بغداد بعنوان
التكامل المعرفي للدراسات التربوية والاجتماعية

(3)الرضا والاطمئنان لها : على الرغم من الدلائل القرآنية التحذيرية المُحيطة والثابتة إلّا أن الصور والدلائل القرآنية تؤكد على اطمئنانِ الإنسان بها، وحرصهُ عليها، فالإنسان لا يعتبر مع علمهِ ويقينه الراسخ بالزوال وعدم البقاء، ومن ذلك قوله تعالى:**{ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}**(19)، وقولهِ تعالى: **{الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ}**(20)، فأسلوب التفضيل ب(على) في (استحبوا الحياة الدُّنيا على الآخرة) أوضحَ مدى تعلّق الإنسان بها في الآيتين الكريمتين، ويُوضّح بُعدهم عن الآخرة باسم الإشارة البعيد (أولئكَ)، الّذي أفاد قُربهم من الدنيا وبُعدهم عن الآخرة، مع دلالة الضلال البعيد عن الهداية، لتكتمل المعاني السياقية للنص، وقولهِ تعالى:**{قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}**(21)، فيأتي أسلوب التمني ب (يا ليت لنا) ليؤكد حرصهم عليها، وتؤكد الدلالات اللفظية ذلك (استحبوا الحياة الدُّنيا)و(يريدون الحياة الدُّنيا)، فاستحبوا ويريدون تؤكد معاني التعلّق والاطمئنان، وقوله تعالى: **{وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ}**(22)فيذكر صراحة شدّة حُرص اليهود يفوق حرص المشركين على الحياة بذكر اللفظ الصريح (أحرص) و(يودُّ أحدهم لو يُعمَّرُ ألف سنة)، وفي تنكير لفظة (حياة) إشعار لما فيها من الذلة والمهانة، ويفيد أنها أي حياة كانت، وتفيد التحقير والتهوين لأمرها .

(4)التحذير من الاغترار بها : أكّدت الآيات والدلائل القرآنية الكريمة في سياقها العام وأساليبها اللغوية الواضحة على صيغة التحذير من الاغترار بالحياة الدُّنيا والمتع الزائلة، ومن ذلك قوله تعالى:**{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا ۚ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ}**(23)،فالتحذير في الآية الكريمة جاء مسبوقاً بأسلوب النهي ب(لا) في(لا تغرّنّكُم الحياةُ الدُّنيا)، ويتوالى اسلوب النهي في الآية الكريمة(ولا يغرَّنَّكُم باللهِ)؛ ليؤكد سياق التحذير على عدم الانجرار ورائها ،قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ}**(24)، نلاحظ تكرار السياق في الآيتين الكريمتين مما يُشير إلى تأكيد المعنى التحذيري في السياقين.

(5)التقلّب وعدم الثبات :فهي دائمة التقلّب لا تدوم على حالٍ، ولا تبقى، ويؤكد هذا السياق الصور التي تؤكد عدم الثبات والبقاء لها، ومن ذلك قوله تعالى: **{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ}**(25)فالاستفهام التقريري أفاد الإنكار والتوبيخ ب(الهمزة) التي تسبق (لم)النافية الجازمة في (ألَمْ)، فالاستفهام هنا لا يُراد به طلب المعرفة، بل تأكيد وقوع الفعل وتقريره في ذهن المخاطب(المتلقي) مع توبيخهِ على الغفلة عنه، ومما عززَ اسلوب التقلّب أن الفاء التي أعقبت (فسلكه) أفادت سرعة إرادة أمر الله في الخلق والإنشاء، وأما توالي (ثُمَّ) في(ثم يخرج بهِ زرعاً) و(ثم يهيج فتراهُ مُصفراً)و(ثم يجعلهُ حُطاماً)أفادت التعقيب مع التراخي في الزمن؛ لتتوازن الصورة في ذهن المتلقي وتترسخ، فالتناسق الزمني عزز من صورة الانتعاش تدريجياً حتى الوصول إلى الذبول والأفول تدريجياً، وهنا نلاحظ تقلّب الدُّنيا ومن ثم زوالها، قال تعالى:**{ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا}**(26)،فالنِعم تدوم بالشكر والثناء، لا بالغرور والاطمئنان، فالجنتين (البستانين) التي عوّل عليهما الكافر أصبحتا خراباً و حُطاماً، وهكذا أكلته الحسرة على ضياع الأعمال، و(أصبح يُقلّبُ كفيه) دلالة على الندم والحسرة، وهي تؤكد صور عدم الثبات والبقاء والتقلّب في هذهِ الدُّنيا.

(6)المُقايسة (تقابُل الحياة الدُّنيا مع الآخرة): فالآيات القرآنية أوضحت عبر أسلوب المُقايسة متاع الدُّنيا الفاني ونعيم الآخرة الدائم، وقابلت عبر الأساليب اللغوية والدلائل الثبوتية بين الحياة الدُّنيا والآخرة، ومن ذلك قولهُ تعالى: **{وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}**(27)، فأسلوب النفي ب(ما) والقصر ب(إلّا)أفاد التأكيد وحصر دلالة الحياة الدُّنيا ب(اللهو واللعب)،والانشغال فيما لا نفعَ بهِ، فيما أفاد وصف الآخرة ب(الحيوان) على المبالغة في أنها الحياة الحقيقية المرادة، فهي تحمل معنى أعمق وهو الحياة الدائمة المستمرة، وأمّا استعمال ضمير الإشارة (هذه) مع الحياة الدنيا ف "فيها ازدراء وتصغير لأمرها، وكيف لا يُصغرها وهي لا تزن عنده جناح بعوضة، يريد: ماهي؛ لسرعة زوالها عن أهلها وموتهم عنها، إلّا كما يلعب الصبيان ساعةً ثم يتفرقون"(28)، وقوله تعالى: **{يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ}**(29)، فـ(إنّما) تفيد حصر حكم الحياة على المتاع ونفيهِ عن الآخرة، وهي تفيد تأكيد المعنى وتثبيته في العقول، ويؤكد ذلك بقوله تعالى: **{بل تؤثرون الحياة**

الدنيا *والآخرة خير وأبقى}(30)، فأسلوب المقايسة في الآيات الكريمة أصبح واضحاً عبر دلالة الألفاظ المُحيلة إلى المعاني الجوهرية:

الحياة الدُّنيا	**الآخرة**
لهوٌ و لعبٌ	← هي الحيوان
متاعٌ	← دار القرار
الدُّنيا	← الآخرةُ خيرٌ وأبقى

ثانياً- مظاهر السياق اللفظي للحياة الدُّنيا

(1)اللهو واللعب ،أو اللعب واللهو: ويأتي الترتيب في تقديم اللعب على اللهو، أو اللهو على اللعب في الآيات القرآنية الكريمة مناسباً للسياق الذي وردت فيه الآية الكريمة، **واللهوُ لغةً:** "ما لهَوْتَ بهِ ولعبتَ بهِ وشغلكَ من هوى، وتلهيتُ بهِ إذا لعبتَ بهِ، وتشاغلتَ وغفلتَ بهِ عن غيرهِ ..ولَهِيَ بهِ أحبَّهُ؛ لأن حبكَ للشيء ضربٌ من اللهوِ بهِ، والتَّلهي بالشيء التعللُ بهِ ...وكلَّ شيءٍ تركتهُ فقد لهيتَ عنهُ، فاللهوُ: هو الشيء الّذي يتلذذ بهِ الإنسان فيُلهيهِ ثم ينقضي"(31)، **وأما اصطلاحاً:** "اللهوُ ما يشغل الانسان عمّا يعنيهِ ويهمه، يُقال: لهوتُ بكذا ولهيتُ بكذا عن كذا، اشتغلتُ عنهُ بلهوٍ، ...ويُعبّر عن كل ما بهِ استمتاع باللهو"(32)، و"اللهو ما يلهو به الناس، أي يشتغلونَ بهِ عن الأمور المكدّرة، أو يعمرون به أوقاتهم الخليّة عن الأعمال"(33)، تدور المعاني اللغويّة للهو حول الانشغال، والغفلة، والشهوات عامة: (المادية ،والمعنوية)، كالذهب ، والفضة، والأموال، والأولاد ،والنساء ،والشهوات، والحُب، والكُره، فمن لها بالشيء انشغل بهِ، ومن لها عن الشيء غفل عنه وتركه وتناساه.

واللّعب لغةً: " ضد الجد ،...وسُميَّ اضطراب الموج لَعِباً؛ لمّا لمْ يسرّ بهم إلى الوجه الّذي أرادوه، ويُقال لكل من عمل عملاً لا يُجدي عليهِ نفعاً: إنّما أنت لاعبٌ، وقيل: إن أصل الباب هو الذهاب على غير استقامة"(34)،**وأما اصطلاحاً:** "اللعب فعل ما لا فائدة فيهِ، وقيل : ما فُعِلَ من غيرِ قصدٍ صحيح، وهو بمعنى الهزل، فهو ضد الجد، وقيل: اللعب كل ما لا يجري على فاعلهِ نفعاً"(35)، فالمعنى اللغوي يتوافق مع المعنى الاصطلاحي في الشغل واللهو دونَ فائدةٍ ، والهزل، وعدم النفع .

واللعب كل ما يُقصد به الهزل والانبساط، قال تعالى:**{قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ *وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}**(36)، يأتي سياق الآية الكريمة للتبليغ إلى الفريقين اللذينِ تضمنهما قوله تعالى:(بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ)، الذي فيه إضراب بالحرف (بل) للانتقال من حمد الله على وضوح الحُجج والبراهين إلى ذم المشركين الذين لا يفطنون لتلك الحُجج الواضحة، فكأنهم لاعقلَ لهم، فإن عقلائهم آثروا باطل الدُّنيا وزيفها على الحق الذي وضحَ لهم(37)،والآية الكريمة قدّمت اللهو على اللعب وهو الأكثر تناسباً مع المعنى الذي جاء في السياق، فهؤلاء المشركين يلهون بالحياة الدُّنيا ويغفلون الآخرة بدلالة (لا يعقلون، ولا يعلمون)، فينفي النص الكريم عنهم صفة العقلانية، فذهاب عقلهم بمُلهيات الحياة الدُّنيا ألهاهم عن الأصل وهي الآخرة فما (كانوا يعلمون) بدلالة الفعل الماضي (كانَ)الّذي يُشير إلى الثبات والرسوخ والبقاء على المُلهيات، ويأتي تقديم اللعب على اللهو في قولهِ تعالى: **{اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ}**(38)،فقد أعقبَ التحريض على الصدقات والانفاق بالإشارة إلى دحض سبب الشح، وهو الحُرص على استبقاء المال بأيديهم؛ لإنفاقهِ في لذائذ الحياة الدّنيا ومتعها، فضربَ لهم مثل الحياة الدنيا بحال مُحقّرة زائلة؛ تحقيراً لحاصلها، وتزهيداً فيها، ف "أنّما" المفتوحة تُفيد حصر دلالة الحياة الدنيا في الأخبار الجارية عليها، وهو قصر أحوال الناس في الحياة على هذه الأمور الستة باعتبار غالب النّاس، فهو قصر ادعائي بالنظر إلى ما تنصرف إليهِ هِمَم أغلب النّاس من شؤون الحياة الدنيا(39)، "فإن اللعب طور سن الطفولة والصبا، واللهو طور الشباب، والزينة طور الفتوّة، والتفاخر طور الكهولة، والتكاثر طور الشيخوخة"(40)، ومن ثم فإن اللهو أعم من اللعب، فاللهو يقع للصغير والكبير وبذلك فإنه بدأ بالخصوص ثم العموم، ومن ثم ذكر الزينة وهي من مقاصد الشباب والنساء في طور اكتمال انوثتهنَّ، ثم يأتي بعد ذلك دور التكاثر في الأموال والأولاد، ويرى الدكتور فاضل السامرائي أن التكاثر بالأموال أكثر، والختام بالأولاد؛ لأنهم أجلُّ ما ذُكِرَ ولَهُم يُترك المال(41).

وفي سورة الأنعام يأتي قوله تعالى: **{ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ}**(42)، ضمن سياق خسارة المكذبين يوم البعث، وعلاقتهِ بإيثار الحياة الدنيا على الآخرة على لسان المنكرين ليوم البعث، **{ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ}**(43)،كاشفاً لهم عن خطأ تفكيرهم، ومبيّناً لهم حقيقة

المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN: 2710-095 Electronic ISSN 2790-1254
عدد خاص بالمؤتمر العلمي الدولي الثامن لكلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية – جامعة بغداد بعنوان
التكامل المعرفي للدراسات التربوية والاجتماعية

الدنيا الفانية، فأسلوب القصر بالنفي مع الاستثناء أفاد المبالغة في جعل الحياة الدنيا تقتصر على(اللعب واللهو)، وهو قصر موصوف على صفة، فهذهِ الحياة الدنيا عبارة عن زمن هو وعاء للأحداث، و(اللهو واللعب) وصفان يغلبان على سائر الأوصاف، وهما مصدران أُريدَ بهما المبالغة في الوصف؛ لأن في الحياة الدنيا أحوالاً أخرى، كالسعي، والعبادة، والبناء، ولكن الأسلوب اقتصرَ على هاتين الصفتين التي انشغل الناس بهما(44)، وأما تقديم اللعب على اللهو في الآية الكريمة فإن مرده إلى السياق القرآني المُكرس في هذهِ الآية لبيان الخسارة، وهي أكثر ما تكون في اللعب، وهو فعلٌ ما يُزيد سرور النفس على وجهٍ غير مشروع وسرعان ما ينقضي، وفي تقديمهِ سبب للغفلة عما ينفع، وفي تأخير اللهو إشارة إلى أن الجهلة كلما فتروا في اللعب والانشغال بالأمور السافلة والشواغل الباطلة أثاروا الشهوات بالملاهي، لما بينهما من العلائق، ولا شكَ في أن الاختيار القرآني بتقديم اللعب على اللهو كان سديداً، كما هو ديدنه في تقديم المفردات وتأخيرها، وفقاً لمطلوب السياق، وتأكيداً على سعة العربيةِ وثرائها(45)، والاستفهام في (أفلا تعقلون؟) هو استفهام توبيخي للمشركين الّذين نفى عنهم صفة التعقّل.

(2)الزينة والتفاخر والتكاثر والزخرفة : الزينة لغةً "زَيَنَ: الزاء والياء والنون أصلٌ صحيح يدلُ على حُسن الشيء وتحسينهِ، فالزين خلاف الشين، يُقال زينتُ الشيءَ تزْييناً، وازينت الأرض وازدانت، إذا حَسِنَها عُشبُها، والزينةُ: ما يتزينُ بهِ، ويوم الزينة العيد، والزينةُ كل ما يتفاخر بهِ في الدنيا من حال وأثاث وجاه"(46)، **والزينةُ اصطلاحا:** "الزينةُ الحقيقة ما لا يُشين الانسان في شيء من أحوالهِ لا في الدنيا ولا في الآخرة، فإما ما يزينه في حالةٍ دون حالة فهو من وجهٍ شينٌ، والزينة بالقول المجمل ثلاث: زينة نفسية: كالعلم والاعتقادات الحسنة، وزينة بدنية: كالقوّة وطول القامة، وزينة خارجية: كالمال والجاه"(47)، فالزينة تحسين الذات أو المكان مما يجعل وقعه مُسرّاً للنظر، وفي أطباع الناس ولاسيما النساء أن تكون مناظرهم حسنة، ويكثر التزين في طور الفتوّة، ويغلُب التزيين على أحوال الحياة فإن مُعظم المساكن والملابس يُراد منها الزينة وهي ذاتية ومعنوية(48)، **وأما التفاخر**: فهو "الكلام الذي يفخر به، والفخر حديث المرء عن محامدهِ والصفات المحمودة منها فيه بالحق أو الباطل.. والناس يتفاخرون بالصفات المحمودة في عصورهم وأجيالهم وعاداتهم.. وأغلب التفاخر في طور الكهولة واكتمال الأشد؛ لأنه زمن الإقبال على الأفعال التي يُقصد منها الفخر.. والتفاخر كثير في أحوال الناس في الدنيا، ومنه التباهي والعجب، وعنهُ ينشأ الحسد"(49)،**والتكاثر:** "تفاعل من الكثرة، وصيغة التفاعل هُنا للمبالغة في الفعل بحيث ينزل منزلة من يُغالب غيره في كثرة الشيء ..ثم شاع استعماله في الحُرص على تحصيل الكثير من غير مراعاة مغالبة الغير ممن حصل عليه، قال تعالى:**{أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ}**(50)(51)،**والزخرف:** "الزينة المزوقة، ومنه قيل للذهبِ زخرف، ..وقال زخرف القول غروراً، أي: المزوقات من الكلام"(52)، وقد جُمعت هذه الألفاظ تارةً في الآية القرآنية مع وصف الحياة الدنيا، كقوله تعالى :**{اِعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ}**(53)،فالوصف القرآني في الآية الكريمة يأتي بأسلوب القصر ب(أنَّما) فتقتصر بذلك دلالة الحياة الدنيا على هذه الأوصاف (اللعب، واللهو، والزينة، والتفاخر، والتكاثر)، فجاء الوصف مُدرجاً لهذه الأوصاف من الطفولة وطور اللعب وحتى الكهولة وطور التفاخر والتكاثر، وزاوجَ بينها في الوصف تارةً أخرى، كقوله تعالى: **{إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا}**(54)، فقد زاوج في الوصف بين (الزخرفة والزينة) في (وأخذتْ الأرض زُخرفها وازَّيّنت)،ودلالتهما التي تُشير إلى الأصلِ ذاته، وهو التجمُّل بما يَسُّر النظر، فالوصف القرآني يأتي بدلالة القصر في (إنَّما)، ليأتي المثل القرآني محصوراً بهذه الدلالة، فيضرب الله مثل الحياة الدنيا واطمئنان النفس الانسانية لطيباتها، ويظن أهلها (دلالة عدم اليقين) أنهم قادرون عليها، و(يظن) من أفعال الشك والرجحان، فلا حقيقةَ لظنهم واطمئنانهم وإنما بغيهم على أنفسهم بهذا الظن الكاذب، وقد أفردَ الوصف في بعض الآيات، ومنه قولهُ تعالى: **{زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ * قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ}**(55)، فلفظ الزينة من (زُيِّنَ) جاء كاشفاً عن الأوصاف المُجمَّلة والمُحببة للناس من الشهوات الماديّة والرغبات الدنيوية (النساء، والأولاد، والذهب والفضة، والخيل، والأنعام، والحرث)، وهي أوصاف جامعة للشهوات المادية على حسب الترتيب والأفضليّة، فبدأ بالنساء؛ لأن الفتنة بهنَّ أشد، وهي شهوة ماديّة حسيّة ومعنوية كذلك؛ لما في ذلك من المشاعر الناشئة عنها، وينتقل الوصف للبنين (الأولاد الذكور)؛ ولما ينشأ عن هذهِ العلاقة، ويذكر الذهب والفضة، وفيهما من الزينة والأموال مما ينفع الناس، لينتقل أخيراً إلى الخيل وهي المُحببة لدى الإنسان والعرب خاصةً،

والأنعام وما فيها من فائدة، ولما فيها من ارتباط بالأرض والحراثة، وارتباط العربي بالأرض والحراثة معروف منذ القِدَم، وأمّا الانتهاء بالحراثة فلأنها الأصل الذي ينبع عنه كافة الخيرات، وفيها غذاء النّاس والأنعام، وقد جاء التركيز في وصف حُب الشهوات الدنيوية والمغريات؛ لتوبيخ المشركين واليهود الّذين آثروا المُتع الزائلة على اتباع الهُدى، لتأتي المُقابلة بما هو (خير من ذلك)كله، وخصص هذهِ النعمة في الآخرةِ للمُتقين (جناتٍ تجري من تحتها الأنهار، وأزواجٌ مُطهرةٌ، ورضوانٌ من الله)، وهنا اشارة إلى التزهيد بالدنيا ومتعتها الزائلة، والترغيب في الآخرة ونعيمها الدائم.

(3)المتاع والغرور: المتاع لغةً: "المتاع في الأصل كل شيءٍ يُنتفع به ويُبتلغ به ويتزود والفناء يأتي عليه في الدُّنيا .. وقيل: كلُّ ما جاد فقد مَتُعَ، وهو ماتعٌ، والماتع من كل شيءٍ: البالغ في الجودة، والمتاعُ: كلُّ ما يُنتفع به من عُروض الدُّنيا قليلها وكثيرها"(56)، **والمتاع اصطلاحاً :** " كل ما ينتفع بهِ على وجهٍ ما"(57)،وهو "ما تمتعت بهِ، أي شيءٍ كان، فكل ما حصل التمتع به فهو متاع من زينة أو لذة أو عمر أو مال"(58)، يرتبط لفظ المتاع بهذا المعنى ويقتصر على كل شيء يُنتفع به سواء أكان مادياً أو معنوياً، قليلاً أو كثيراً، ثُمَّ لا يلبث أن يزول قريباً؛ ولذلك يقترن لفظ المتاع مع الحياة الدنيا لما فيه من زوال، في حين يرتبط النعيم بالآخرة؛ لما فيه من ديمومة وبقاء.

والمتاع هو الفترة القليلة ما بينَ وقت الضحى والظهر، وهو الشيء الزائل الذاهب، قال سعيد بن جبير: "متاع الغرور ما يُلهيك عن طلب الآخرة، وما لم يُلهِكَ فليس بمتاع الغرور، ولكن متاع بلاغ إلى ما هو خيرٌ منهُ"(59).

الغرور لغة: "الغَرور الشيطان، الغُرور بضم الغين ..الأباطيل.. ما اغْتُرَّ بِهِ من متاع الدنيا، والغَرُور: الشيطان يغرُّ الناس بالوعد الكاذب"(60)، **وأمّا اصطلاحاً:** "كل ما يَغُرُّ الانسان من مالٍ وجاهٍ وشهوةٍ وشيطانٍ، وقد فسَّرَ بالشيطان، إذ هو أخبث الغارين، وبالدنيا لما قيل: الدُّنيا تَغُرُّ وتضرُّ وتمرُّ، والغَرَرُ: الخطر، وهو من الغَرِّ"(61)، يتوافق المعنى اللغوي والاصطلاحي فهو كل ما يدور حول الزيف والخداع والاباطيل الكاذبة ، والانجراف وراء المُتع الوقتية الزائلة.

واللفظان (المتاع والغرور) يُحيل أحدهما إلى الآخر لا محالة (فالغرور) ينشأ نتيجة المتعة، وهو متسبب عنه والمتعة سببٌ له؛ ولذلك يستعمل الوصف القرآني لفظ (متاع الغرور) مع الحياة الدنيا مُزاوجاً بينهما، في بعض الآيات القرآنية كما في سورة الحديد قوله تعالى: { **وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ**}(62)، فيقصر متعة الحياة الدنيا بهما؛ لأنها متعة زائلة لا دوام لها ولا بقاء ، فحصَّر دلالته بها عبر اسلوب الاستثناء المنفي الذي يؤكد المعاني، وفي سورة آل عمران يقول تعالى: { **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ**}(63)، فتبدأ الآية الكريمة بالحقيقة التي لا مفرَّ منها (الموت) ليُبيّن حقيقة المآل، والجنة والنار، البعث والنشور، الجزاء والثواب والعقاب، ليُعرّج إلى الحكمة والحقيقة الثابتة من خلق الحياة الدنيا التي وصفها ب(متاع الغرور) فما أن تُمتعكَ مُتعةً سريعةً زائلةً خاطفةً وتُغرر بك حتى تنخطفُ منكَ.

وقد يُفردُ التعبير القرآني لفظ المتاع في بعض الآيات، كقولهِ تعالى: { **وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ *وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ*وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ**}(64)،والزخرف بحسب السمرقندي : "الذهب، أي لجعلنا كل ذلك من ذهبٍ وفضةٍ، ثم أخبر أن ذلك كله مما يُفنى، و(ما) في (لما) هٰهنا زائدة، ومعناه : إن كل ذلك لمتاع" (65)، تتوضح حقارة الدنيا عند الله، فلو كانت الدنيا عنده تُساوي جناحَ بعوضةٍ لما أعطى للكافر منها شربَةَ ماءٍ، ولكن كل ذلك متاع الحياة الدنيا الزائل، فالرزق فيها لا على أساس المؤمن والكافر، وأما الرزق في الآخرة فهو رزق دائم لا نفاد له وهو رزق مُخصص للمؤمنين المتقين، وقوله تعالى : { **اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ**}(66).

واستعمل النص القرآني لفظ الغرور مفرداً، كما في قوله تعالى: { **الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۚ فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ**}(67)، فيُسند التغرير إلى الدنيا في النص الكريم مجازاً؛ لزينتها وزخرفها واعراضهم عن الآخرة لتغرير الشيطان لهم، واستعمال الفعل الماضي من (اتخذوا، وغرتهم، نسوا، كانوا) دلالة على الاغراق والثبات على الضلالة والإعراض عن الآخرة، وأما استعمال الفعل المضارع(يجحدون) ففيه التجديد والدوام والاستمرار على الجحود ونكران النِعَم والآيات الواضحة والدلائل البيّنة.

ثالثاً- مظاهر الخطاب المباشر

النِعم الممنوحة بين العطاء والإمساك : إن النعم الإلهية الممنوحة للإنسان في الحياة الدنيا كثيرة متعددة لا حصرَ لها، ومع ذلك فالإنسان يضيق ذرعاً بما لديه ويُحاجج الخالق فيها، لذا نجد التذكير بهذه الآيات في قوله تعالى :{ **أَفَرَأَيْتُم مَّا**

تُمْنُونَ * أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ* نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ* عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ * أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ * أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ * لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ * إِنَّا لَمُغْرَمُونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ * أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ *أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ * لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ * أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ * أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ* نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ * فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ}(68)، تعتمد الآيات الكريمة في النص على تكرار أسلوب الاستفهام في الآيات الكريمة (أفرأيتم؟) ويعقبه باستفهام آخر (أأنتم ..أم نحن)، ويفيد الاستفهام بالهمزة مع أم المعادلة طلب التعيين بين أمرين متساويين في ذهن المخاطب أو السائل، ليُحقق الهدف والإجابة بتأكيد أن هذه النعمة هي من نعم الخالق سبحانه وأنه تعالى قادرٌ على سلبها، فيُثبت بذلك الجواب، وهي كالآتي :

أفرأيتم (صيغة استفهام)←أأنتم (تفعلونه) ..أم نحن (الفاعلون)(استفهام آخر يُراد به تعيين الجواب)← (لو نشاء لجعلناه، نحن قدّرنا، نحن جعلناها)تفويض لقدرة الله واثبات الجواب للخالق بدلالة قدرة السلب والمنع .

فقدرة الله سبحانه غالبة على قدرة العبد الضعيف، والملاحظ أن هذه النعم هي نعم رئيسة وضرورية لديمومة حياة الإنسان، وهي على التوالي:(الذرية ، الحراثة والزراعة، الماء، والنار)،وهي نعم وعطايا الله التي منحها للبشر في الحياة الدنيا، وهي تستوجب الشكر والإيمان والتصديق، وتوضّح عظمة الخالق وقدرته وتفضي إلى حقيقة مآل البشر وفقاً لأعمالهم في الحياة الدنيا .

المبحث الثاني
(الدراسة التحليليّة)

التصوير الفني

يُعرّف سيد قُطب التصوير الفني على أنهُ: "الأداة المُفضّلة في اسلوب القرآن، فهو يُعبّر بالصورة المُحسّة المُتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني، والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة، فإذا بالمعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الانساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية، فأما الحوادث والمشاهد والقصص والمناظر، فيردها شاخصة حاضرة، فيها الحياة وفيها الحركة، فإذا أضاف إليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخييل"(69)، فالتصوير وسيلة من وسائل القرآن الفعّالة في تحقيق مقاصده وأغراضه، وفي اظهار المعاني وتقريبها، فقد تظهر فيه المعاني الذهنية أو المُجردة في صورة حسيّة رائعة، وتجري مجرى الأمثال(70)، والآيات القرآنية الممثلة لصورة الحياة الدنيا جاءت بأوصاف بلاغية وبيانية معجزة في رسم الصور، وكأنها ترسم صورة حيّة شاخصة ماثلة للعيان بأوصاف استدعت الوقوف والتأمل، من هنا فقد اختص هذا المبحث ببيان الصور الفنية واستخراج الفنون البيانية، ومن ثم توضيحها ودراستها .

أولاً- مظاهر الصورة التشبيهية

التشبيه: شبهَ "ما له شِبْه وشَبَهٌ وشبيه، وفيهِ شبهٌ منه، وقد أشبهَ أباهُ وشابههُ،...وتشابه الشيئان واشتبها، وشبهته به وشبهته إيّاه، واشتبهت الأمور وتشابهت: التبست لإشباه بعضها بعضاً"(71)، فالتشبيه هو" الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى بإحدى أدوات التشبيه، لفظاً أو تقديراً، لغرض يقصده المتكلم"(72)، قال السيوطي: "التشبيه نوع من أشرف أنواع البلاغة وأعلاها، وقال بعضهم: "هو أن تُثبت للمشبه حُكماً من أحكام المشبه به، والغرض منه تأنيس النفس بإخراجها من خفي إلى جلي، وإدنائه البعيد من القريب، وقيل: الكشف عن المعنى المقصود مع الاختصار"(73) ، فواضحٌ أن التشبيه هو عقد مقارنة للمماثلة بين المشبه والمشبه به في عدّة وجوه، لبيان أوجه الشبه بينهما، أو قد يكون تمثيل حالة أو هيئة بأخرى تُماثلها، ولا يخلو التشبيه من رسم الصور الإبداعيّة والفنية التي تُظهر الأغمض بصورة قريبة مُحببة يتصورها القارئ والمستمع (المتلقي)، وينسج صورها الخيالية بذهنه، وقد تميّز القرآن الكريم في رسم الصور التشبيهية الإبداعية التي تجعل المتلقي يراها ماثلة ملونة متحركة أمامه، وبعد ذلك فالتشبيه في القرآن الكريم يرتبط بالغرض الديني تمام الارتباط، وجاءت صورة الحياة الدنيا ممثلةً لذلك أفضل تمثيل، ومن ذلك قوله تعالى :**{ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ**

نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}(74)، هذه الآية لوحة تمثيلية مُتكاملة العناصر من الحركة والألوان المُبهجة والظلال المزخرفة والناطقة عن الانتعاش واخضرار النبات وتكاثفه واشتباك بعضه ببعض، والأصوات المسموعة من زقزقة العصافير وتمايل الفراشات بين الزهور، إلى صورة الركام والخراب والسكون والانطفاء، لتنزل الستارة ب(جعلناها حصيداً) و(كأن لم تغن بالأمس) فتهدأ الأصوات تدريجيّاً حتى تسكت، وتنطفئ الأضواء باللون الأصفر ثُم الرمادي والأسود بعد أن كان الضوء متلألأ بين الأخضر والأصفر والأزرق والأحمر، موضحاً صورة الانتعاش والبهجة، وصورة الهلاك والخراب ،والتشبيه هنا تشبيه هيئة بهيئة مركبة، وعبّر عن ذلك بلفظة (مثل)وهو أجمل أنواع التشبيه؛ فهو يضج بالحركة والبهجة والألوان والظلال، فهيئة الحياة الدنيا مُماثلة للحظة سقوط المطر من السماء على الأرض .

شُبِهَت حال الحياة الدنيا في سرعة انقضائها وزوال نعيمها وصيرورتها حُطاماً ورُكاماً بعد بهجتها وتزايد نضارتها واقبالها على الناس واغترار الانسان بها بحال نبات الأرض في ذهابه حُطاماً ومصيرهِ حصيداً، ومن بديع هذا التشبيه تضمنه لتشبيهات مُتفرقة من أطوار الحالتين المُتشابهتين بحيث يصلُح كلّ جزء من التشبيه المركب لتشبيه جزء من الحالتين المتشابهتين(75).

الصورة **الصورة المقابلة لها**

(كما أنزلناهُ من السّماء)السقاء بداية الحياة ← ابتداء أطوار الحياة (الطفولة والصبا)
(فاختلط به نبات الأرض)خروج الزرع بعد المطر ← طور ابتداء نضارة العيش وإقبالها
(مما يأكل الناس والأنعام) ← يشبه رغبات الناس في الاقبال على لذّة الحياة، كما يأتي:
← معالي الأمور من نعم الدنيا ← شبه ما يقتاته الناس.
← سفاسف الأمور ← شبه ما يأكل الأنعام.
(حتى إذا أخذت الأرض زخرفها) ← بلوغ الغاية من الانتفاع إلى أقصاه ف(حتى) تفيد وصول الغاية.
(أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً) ← الاشارة إلى إرادة الاستئصال .

إن تشبيه الحياة الدنيا بهذا النبات يحتمل عدّة وجوه لخصها القاضي (رحمه الله):

الوجه الأول: أن عاقبة الحياة الدنيا التي ينفقها المرء في حب الدنيا كعاقبة هذا النبات الذي عظم الرجاء في الانتفاع به ثم وقع اليأس منه؛ لأن المتمسك بالدنيا إذا وضع عليها قلبه وعظُمت رغبته فيها فاجأه الموت.

الوجه الثاني: في التشبيه يُبين تعالى أنه كما يحصل لذلك الزرع عاقبة لا تُحمد، فكذلك المغتر بالدنيا المُحب لها لا يحصل له عاقبة تُحمد.

الوجه الثالث: أن يكون وجه الشبه كقوله تعالى:{**وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا**}(76)، أي: أن سعي الزُرَّاع صار باطلاً بسبب حدوث الأسباب المُهلكة، كسعي المغتر بالدنيا.

الوجه الرابع: الحسرة الحاصلة في قلب مالك البستان بعد تعبه وعناءه، كالحسرة الحاصلة لمن أتعب روحه في طلب الدنيا ولم ينلها(77).

إن الحياة الدنيا في تقلبها كالزرع في تقلبه وتحوله من الحياة إلى الموت (من الخضار إلى اليباس)، والانسان يشاهد هذا التقلّب ويعيش مشهده المُكرر فلا يغتر بها، ولا ينسى نفسه وهو يقطع رحلته بين الحياة والموت، فحياة الانسان لا تعدو أن تكون المعادل الانساني لعالم النبات، فالموت هو النهاية الحتمية التي ينتهي إليها كل حي بعد حياة زمنية قصيرة، بل إن القرآن الكريم يختزل ذلك الزمن اختزالاً، فلا يبقي بين الحياة والموت أيّما فاصل زمني(78)، قال تعالى:{**وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا**}(79)، فقد شبه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها بحال نزول المطر وارتواء الزرع، والتفاف النبات وتكاثفه حتى يخالط بعضه بعضاً فيكون أخضراً وارفاً، ثم ما يلبث أن يهيج ويصفر دفعةً واحدة، ويذهب مع الرياح، والصورة التشبيهية تمثيلة، فصورة الحياة الدنيا ببهجتها ونضارتها تُقابل صورة النبات الأخضر الكثيف بعد هطول المطر وسقي الزرع، وصورة الحياة الدنيا في إدبارها كصورة الزرع بعد اصفراره وذهابه هباءً مع الرياح.

صورة الحياة الدنيا في اقبالها ونضرتها ← صورة ماء المطر وانتعاش النبات الأخضر وتكاثفه.

صورة الحياة الدنيا في إدبارها وزوالها ← صورة النبات بعد أن أصبح أصفراً هشيماً تذروه الرياح.

فاجتمع لهذا التعبير كل عناصر الصدق والدّقة والجمال الفني والاسلوبي، الصدق في عرض أطوار النبات، فلم ينقص منه شيئاً، والدّقة؛ لأنه حقق عرض الصورة كاملاً، والجمال؛ لأن سرعتها الخاطفة مما ينشط له الخيال، وهي سرعة تأتلف وتتحد مع الغرض الرئيس من المشهد(80)، واستعمل النسق اللفظي(التعبيري)في تقصير المشهد مع وسائل

العرض الفنية التي تُزيد السرعة لهذا الغرض ف(الفاء) العاطفة أفادت التعقيب والترتيب والفورية في تتابع المراحل، وهي تتفق مع طريقة العرض السريعة المطلوبة، دون حائل ولا فاصل زمني، فيُعبّر بذلك عن الخسران والحرمان دفعة واحدة، فالفاء في (فاختلط به نبات الأرض) و(فأصبحَ هشيماً) تُفيد سرعة الابتداء والانتهاء دون فاصل زمني.

روى إبراهيم بن علقمة عن عبد الله عن النبي (ﷺ) أنه قال: "مالي وللدنيا إنمّا مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب قامَ في ظلّ شجرةٍ في يومٍ صائف ثُمَّ راحَ وتركها" (81)،قال تعالى: **{اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ}**(82)، والصورة المعروضة لقصر الحياة الدنيا متحدة تقريباً مع الصور السابقة، وقد يُخيّل للبعض إنها تكراراً كاملاً، ولكن الواقع أن هناك اختلافاً دقيقاً، فقد أطال عرض شريط الحياة كما يراه الكفار فهي: لعب، ولهوٌ، وزينةٌ، وتفاخرٌ، وتكاثرٌ في الأموال والأولاد، ليقول لهم: أن هذا الذي تُعجبون به وتحسبون أنه طويل الأمد ، إنما هو في حقيقته قصير زائل، كذلك الغيث الذي يعجب الكفار نباته، ثم يهيج فتراه مصفراً، ثم يكون حُطاماً(83)، فالصورة التشبيهية تمثيلية منتزعة من متعدد، فحال الحياة الدنيا كحال الغيث، فشبهت هيئة أهل الدنيا في أحوالهم الفانية المذكورة، بهيئة غيث أنبتَ زرعاً فأينعَ وأخضّرَ ثم أصفَّرَ ثم أصبح حُطاماً وتحطّم، فيكون التشبيه هنا هيئة هذهِ الأحوال الغالبة للناس من اللعب واللهو إلى التفاخر والتكاثر مزهوة لهم بهيئة النبات الجديد الذي أنبتَ غيثه فاستوى واكتمل وأعجبَ به، فمضت عليهِ الأطوار فيبس وتحطم، فشبه الحياة الدنيا وهي أمر عقلي، بقالب حسّي ملموس وهو الغيث النازل على النبات، وعطفت جملة يهيج ب(ثم) التي تفيد التراخي الرتبي في الزمن؛ لأن اصفرار النبات أعظم دلالة على التهيؤ للزوال، وعطفَ (فتراه مصفراً)بالفاء؛ لأن اصفراً النبات فيه ايذان بالأفول والزوال؛ ولأنه أقرب لليباس ، وعطف (ثم يكون حطاماً) لترتيب الحالة بحسب الموقف الزمني لاكتمال صورة الزوال والفناء، والتمثيل هنا: "تمثيل هيئة مركبة بهيئة مثلها هو صالح للتفريق ومقابلة أجزاء الهيئة بأجزاء الهيئة المشبه بها"(84)،"فهذا التشبيه قد أخرج ما لم تجرِ به العادة إلى ما قد جرت به، وقد اجتمعا في شدة الاعجاب ثم في التغيير بالانقلاب، وفي ذلك الاحتقار للدنيا والتحذير من الاغترار بها والسكون إليها"(85).

إن التشبيه في الآيات القرآنية الكريمة التي سبق ذكرها هو تشبيه مقلوب، فيُشبه الحياة الدنيا بالماء والغيث، وهما سريعا الزوال، وهذا يُفيد التحقير والتقليل والتحذير منها.

ثانياً- مظاهر الصورة الاستعارية

يُعرّف الرُماني (ت386هـ) الاستعارة بقوله:" تعليق العبارة على غير ما وُضِعَت له في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة"(86)،ويُعرفها الجرجاني (ت471هـ) بقوله: "أن يكون للفظ أصلٌ في الوضع اللغوي معروفٌ تدل الشواهد على أنه اختصَّ به حينَ وُضِعَ، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلاً غير لازم، فيكون هناك كالعارية"(87)، فالاستعارة "أن تستعار للكلمة من شيء معروف بها إلى شيء لم يُعرف بها، وحكم ذلك اظهار الخفي وايضاح الظاهر الذي ليس بجلي، أو حصول المبالغة أو المجموع"(88)، قال القاضي أبو الحسن: "وملاك الاستعارة، تقريب الشبه، ومناسبة المستعار للمستعار منه"(89)، قال تعالى : **{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ}**(90)، فالتعبير (كل نفسٍ ذائقة الموت)فيه استعارة مكنيّة بتشبيه الموت عند اقباله الرهيب بالأمر الذي يُذاق فيشهد الانسان عند تذوقه الطعم، وفيه اشارة إلى أن التذوّق بحسب أعمال الانسان فمنهم من يتذوقه مُرّاً فيُؤلَم، ومنهم من يتذوقه حلواً فيُسعد، وهناك اشارة بيانية أخرى في اسناد التذوق إلى النفس، فالآية القرآنية تبدأ بالمشهد الأخير الموت والبعث ونزوع الروح ليُعرج إلى حقيقة الحياة الدنيا ووصفها عبر أداة الحصر والتوكيد(وما الحياة الدنيا إلّا متاع الغرور) وفي (متاع الغرور) استعارة أو تشبيه بليغ، والتأكيد جاء بأسلوب الحصر بأن الحياة الدنيا متاعها كالسراب لا تُقارن بالجنة والفوز بها، و"الاستعارة هنا أمد ميداناً، وأشد افتناناً، وأكثر جرياناً، وأعجب حُسناً وإحساناً، وأوسعُ سعةً، وأبعدُ غوراً، وأذهبُ نجداً في الصناعةِ وغوراً، من أن تجمع شعبها وشعوبها، وتحصر فنونها وضروبها"(91)، قال تعالى: **{حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا}**(92)، فالمجاز في اسناد الزينة والزخرفة إلى الأرض، وهي استعارة تمثيلية، فينسب الإدراك والأخذ إلى الأرض، فإذا بالأرض تمسك بالزينة والحُلي والمجوهرات وترتديها، فهي كالعروس التي تتجمل، ويمنحها صفة العقل والإدراك، فاستعير الأخذ وهو التناول باليد، فيمنحها اليد لتأخذ الزينة، وترتدي الحُلّي، وهذا من بديع الاستعارة، فجعل القارئ يُشاهد الموقف من

الألوان والبهجة والنضارة والسرور والحركة، فيتأمل المشهد التمثيلي أمامه، وإذا بالمشهد الجميل يُقلب بأمر الله ويغدو كل ما فيها تالفاً وحصيداً، وإذا بالستارة تُسدل فجأة وكأن شيئاً لم يكن بالأمس وينتهي المشهد ب(جعلناها حصيداً) فالاستعارة في التعبير عن بالحصيد عن التالف، فجعل ما هلك من النبات بالآفة قبل أوانه حصيداً وكأن الآفة قامت بحصده وما بينهما من علاقة الطرح والحصاد على الأرض، وقال تعالى :{**اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ**}(93)، فالاستعارة تصريحية في (الله يبسط الرزق) فيعبّر عن الكثرة والتوسعة ب(الرزق)، وهذا المعنى أكثر شمولاً لمطلق العطاء المادي والمعنوي في الدنيا والآخرة، ويستعير (يبسط) لامتداد الرزق، فكأنه أرض منبسطة سهلة المأخذ، قال تعالى:{**مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ**}(94)، فالاستعارة تصريحية في (حبطَ ما صنعوا فيها)، فعبّر عن فساد أعمالهم بالحبط؛ لأنهم آثروا الدنيا على الآخرة فهؤلاء هم الخاسرون .

ثالثاً- مظاهر الصورة المجازية

المجاز (مفعَل) من جازَ الشيء يجوزه، إذا تعداه، وإذا عُدِلَ باللفظ عمّا يوجبه أصل اللغة، وُصِفَ بأنه مجاز، على معنى أنهم جازوا به موضعه الأصلي، أو جاز هو مكانه الذي وُضِعَ فيهِ أولاً"(95)، فالمجاز: "كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول"(96)،قال تعالى: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ**}(97)،فيبدأ بالنداء (يا أيها الذين آمنوا)، وفيه تلطف للإقبال على الله وخلع ما سواه تحريضاً للمؤمنين على الجهاد، وجاء الفعل(آمنوا) بصيغة الماضي زيادة تلطف بوصفهم بالوصف الأحب إلى قلوبهم، مما يحثهم على الإقبال والجهاد(مالكم إذا قيلَ لكم انفروا؟)فالاستفهام انكاري توبيخي لتنبيههم على الاقبال، واستعارة كلمة(انفروا في سبيل الله) فالنفرة استعارة تصريحية عن الجهاد والقتال، وأمّا (اثاقلتم إلى الأرض)، فهو مجاز مرسل باعتبار ما سيكون منهم من عدم الاقبال على الجهاد، وما كان وما سيكون من الثقل والسكون، فتعود صيغة الاستفهام الانكاري والتوبيخي(أرضيتم؟)بالذل والهوان بدلاً عن الخير والفوز بما عند الله من الثواب والآخرة والجنة، ويتوضّح الجناس اللفظي بين (الأرض/ أرضيتم) فاللفظين متشابهين في النطق مختلفين في المعنى، وهو جناس لفظي غير تام، بين الاسم وهو(الأرض)التي تعني الخلود إلى الراحة والشهوات الفانية، والفعل الماضي من (أرضيتم ؟) الذي يدل على الاستفهام الانكاري التوبيخي، فلا يليق بالمؤمن الخلود والركون إلى الدنيا ومُتَعِها الفانية، وقال تعالى:{**أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ**}(98)، فأولئك ضمير الإشارة إلى البعيد (اشتروا الضلالة) اطلاق لفظ الشراء هنا مجاز مرسل بعلاقة اللزوم عن لازمه الثاني وهو الحرص على شيء والزهد بما هو ضده من النور والهداية، ويمكن أن يكون استعارة تصريحية، وأما(ربحت تجارتهم) فهو استعارة مكنية، فالذي يربح هو التاجر، فقد أسند الربح إلى التجارة، أو هي مجاز عقلي عن طريق الاسناد المجازي؛ لأن الربح كان مسبباً عن التجارة، والرابح هو التاجر، صح اسناده إلى التجارة؛ لأنها سببه.

رابعاً- مظاهر الصورة الكنائية

الكناية بحسب الجرجاني (ت471هـ) هي: "أن يُريد المُتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليهِ وردفه في الوجود، فيومئ بهِ إليه، ويجعله دليلاً عليه"(99)، ويرى القزويني(ت739هـ) أن الكنايةَ :"لفظٌ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذٍ، كقولك: "فلان طويل النجاد" أي: طويل القامة"(100)، وقد جاء التعبير بالصورة الكنائية كأحد الفنون المستعملة في رسم صورة الحياة الدنيا في القرآن الكريم، ومنها قوله تعالى: {**وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَـٰبٍ وَحَفَفْنَـٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا * كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَـٰلَهُمَا نَهَرًا * وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَـٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا * وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـٰذِهِۦٓ أَبَدًا * وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا * قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا * لَّـٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا**} وقال تعالى: {**وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا**}(101)، تتحدث الآيات الكريمة عن حديث دار بين صاحب الجنتين(البستانين)الكافر، وصاحبه المؤمن، وهي محاورة طويلة بأسلوب قصصي فني جعلنا نعيش المنظر كاملاً، بدايةً من الجنتين (البستانين) وهما في الطريق للذهاب إليه وتتمثل المشهد التمثيلي بصورة الذهاب والمحاورة

المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN: 2710-095 Electronic ISSN 2790-1254
عدد خاص بالمؤتمر العلمي الدولي الثامن لكلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية – جامعة بغداد بعنوان
التكامل المعرفي للدراسات التربوية والاجتماعية

والطريق الذي سلكاه لهاتين الجنتين وهما يتحاوران، والأول الكافر غني، والثاني المؤمن فقير، وأما تعبير الجنتين لما في هذين البستانين من خيرٍ وفير أخذ بمجامع القلوب والأبصار، فيتوضّح ثرّاء الرجل الطائل في جنتيه، والمحاورة تكشف عن فخر الرجل الكافر بأنعم الله بأمواله وأعوانه، مع بطر النعمة وطيش الرفاهية، واستظهارهِ على الفقير بما يجرح عواطفه، ويتطاول عليه بشظف عيشه وفقره، وقلّة أنصاره وأعوانه، ويستهزء به؛ لأنه فقير، وفي الطريق للجنتين هذا المشهد يعرض المفاخرة القوليّة، وعندما يصلون إلى الجنتين تبدأ المفاخرة باستعراض ما لديه في الجنة من الخيرات والثمار، فتبدأ مظاهر الاستعراض في الحركات والأقوال والتنقل داخل جنته بفخر بأن ما لديه من الأزهار والثمار والخيرات والثروة، فيتفوه بالكفر ب(ما أظن أن تبيد هذهِ أبداً وما أظن الساعة قائمةً) والحقيقة أن صاحب الجنتين ظلمَ نفسه بهذا التطاول والفخر بما لديه، والثقة بما له عند الله ونكران البعث، ويأتي جواب المؤمن الفقير مذكراً له بحقيقته الزهيدة المُهينة من العدم بحقيقة خلقه من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً، فالتعقيب ب(ثم) أفاد ترتيب الحالة والتدرج في الوصول إلى هذا المشهد والصورة من العدم إلى القوة، ليذكره بأن الذي خلقه من تراب ومنحه هذه الثروة والنعمة قادراً على استردادها، ثم يوضح له ما يجب عليه قوله عند التنقل داخل جنته من الحمد والشكر لنعمة الله لتدوم هذه النعمة، ثم أخيراً بعد هذا النصح والتوجيه يوجه يده بالدعاء بأن يرسل الله على جنتيه عذاباً مقدراً فتصبح جرداء لا شجر فيها ولا ثمر، ويبدو أن الصورة الأخيرة(واحيط بثمره فأصبح يُقلّبُ كفيه) هو صورة الاستجابة بذهاب نعمة الكافر، فيُصيب جنته التلف والهلاك، والصورة هنا (وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه) هي صورة كنائية منبثقة عن الاستعارة، وهي تُجسد صورة الندم والحسرة، ولنا أن نشاهد الموقف النهائي والصورة النهائية صورة الخسارة والندم عبر تقليب الكفين ببعضهما كناية عن الندم وما فيهما من الحركة والصوت .

تمنح الصورة الكنائية في وصف المظاهر الدنيوية الظلال والألوان ، فتغدو الصورة ناطقة متحركة شاخصة ،قال تعالى:{**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ**}(102)، فترتسم صورة الموت بالصورة الكنائية (ثم يهيج فتراه مصفراً)فكنّى عن الموت باللون الأصفر، قال الصابوني: "تمثيل لحياة الانسان بالحياة الدنيا، فمهما طال عمر الانسان فلا بُدَّ من الانتهاء، إلى أن يصير مُصفَر اللون، مُتحطم الأعضاء، متكسراً كالزرع بعد نضرتهِ، ثم يكون عاقبته الموت"(103)،وقال تعالى: {**وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ**} (104)، فالكناية تصويرية في (ولا تَمُدَّنَّ عينيكَ)، فالعين لا تمتد وإنما يمتد النظر، فالكناية تصوّر المعنى هنا زيادة في المبالغة لتجعل العين هي التي تمتد كنايةً عن الحسدِ، فيتوضّح هنا الاسناد المجازي التصويري في اسناد الامتداد للعين لا للنظر والاعجاب واستحسان ما عند المنظور إليه وهنا النظر يُقصد به النظر الذي يتمنى زوال النعمة، فالحاسد يتمنى زوال النعمة لدى الآخرين ودوامها له، واستعمال(زهرة الحياة الدنيا) هو استعارة تصريحية، فاستعار الزهرة وجمالها الجذّاب ونضرتها وألوانها للدنيا وزينتها، ليشتد المعنى في الفتنة بما لديهم والتأثير، ثم يوضّح أن ذلك كله متاع الحياة الدنيا، وهذا الاختيار يتناسب مع الزهرة وجمالها وسحرها الفتّان ورائحتها العطرة التي تبعث البهجة والسرور في النظر إليها، ولكنها سرعان ما تذبل ويزول جمالها ورونقها ورائحتها تمثيلاً لها بالبهجة والنظر إلى زينة الحياة الدنيا وسحرها الفاني.

خامساً- مظاهر الصورة التضادية (التقابل والطباق)

المقابلة هي: " أن تذكر لفظان فأكثر، ثم أضدادهما على الترتيب"(105)،وأمّا الطباق فهو: "الجمع بين متضادين في الجملة(106)، وقد أدخل لفيف من علماء البلاغة في الطباق المقابلة، ومن هؤلاء القزويني الذي قال: "ودخل في المطابقة ما يخص باسم المقابلة، وهو: أن تؤتي بمعنيين متوافقين ثم ما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب"(107)

أنتجت الصور التي رسمت الحياة الدنيا في القرآن الكريم صوراً متضادة أبدع الخالق في رسم صورها ومعانيها، وهي صور نابعة من روح النص القرآني الكريم، لتظهر الفجوة العميقة بين الحياة الدنيا ومتاعها الفاني والآخرة ونعيمها الباقي، ويُعَد "التضاد أحد المنابع الرئيسة للشعرية ، فهو يُسهم في خلق الفجوة أو مسافة التوتر داخل النص، والمراد بالتضاد جميع أشكال المغايرة والتباين التقابليين بين البُنى والأشياء في اللغة وفي الوجود، فإنَّ " الفجوة: مسافة التوتر هي الفضاء الّذي ينشأ من إقحام مكونات للوجود أو للغة أو لأي عناصر تنتمي إلى ما يُسميهِ ياكبسون "نظام الترميز" في سياق تقوم فيه بين علاقات ذات بعدين متميزين، وتُعد الشعرية وظيفة من وظائف الفجوة: مسافة التوتر"(108)، قال تعالى: { **إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا * وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا**}(109)،فترتسم صورتين متضادتين للحياة المُقبلة بنضارتها وزرعها وألوانها وبهجتها، والحياة بعد ذهاب بهجتها

ونضارتها وتحوّل ما عليها من نبات يابس وأرض قاحلة لا نفع فيها: (جعلنا ما على الأرض زينةً لها /لجاعلون ما عليها صعيداً جُرزاً)، قال تعالى: { **يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ** }(110)، وقال تعالى: { **بل تؤثرون الحياة الدنيا * والآخرة خير وأبقى**}(111)، وقال تعالى: { **وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**}(112)، وقال تعالى: { **وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**}(113)، فتنشأ الفجوة العميقة بين الحياتين عبر هذا الوصف المتضاد :

(الحياة الدنيا متاع/ الآخرة دار القرار)

(تؤثرونَ الحياة الدنيا / الآخرة خيرٌ وأبقى)

(الحياة الدنيا لعبٌ ولهوٌ/ الدار الأخرة لهي الحيوان)

(الحياة الدنيا لعبٌ ولهوٌ / الدار الآخرة خيرٌ)

فلا وجه للمقارنة بين المتاع الفاني والقرار والسكون والخلود، ويتمثل ذلك في الطباق وفي مفهوم الثنائيات الضدية فنجد قصر المُسميات ومحدوديتها مع الحياة الدنيا، وهذا التكرار بأداة القصر يُشير إلى التأكيد على حصر دلالة الحياة الدنيا بها، والتحذير منها، وتعدد الوصف مع الآخرة، يُشير إلى الخير الوفير والانفتاح المُطلق لها وعدم حصر دلالتها مع الألفاظ، فيصف في الآية الأولى الحياة الأخرة بدار القرار، مما تُشير لفظة الدار إلى السكينة والخلود وقد نفى هذه الصفة عن الحياة الدنيا فلم يصفها بالدار؛ إذ لا خلود ولا بقاء فيها، فهي رحلة سريعة عابرة، والآية الثانية تُشير دلالة الخير إلى الانفتاح فلم يُحدد الخير بأوصاف؛ ليجعل المؤمن يتوق لما عند الله من خيرٍ وافر وعطاءٍ لا متناهٍ، والآية الثالثة يُزيد في الوصف في الآخرة ليصفها (بالحيوان) على وجه المبالغة فهي الحياة الحقيقية الدائمة، "وفي بناء الحيوان زيادة معنى ليس في بناء الحياة، وهي ما في بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب، والحياة حركة، كما أن الموت سكون، فمجيئه على بناء دال على معنى الحركة مبالغة في معنى الحياة، ولذلك اختيرت على الحياة في هذا الموضع المقتضى للمبالغة"(114) فقد أصبح التضاد واضحاً بين الدنيا والآخرة .

إن التضاد مصدر للشعرية؛ لأنه مصدر الفجوة: مسافة التوتر، فإنه يقود بالضرورة إلى النتيجة التالية، وهي أن ازدياد درجة التضاد، ثم الوصول إلى التضاد المطلق، قادر على توليد طاقة أكبر من الشعرية (115)،وقد تأتي المقابلة في التمثيل لما زُيّنَ للناس في الحياة الدنيا من مُتع زائلة، ومقابلة ذلك بنعم الآخرة الباقية، كقوله تعالى: **{زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ * قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ}**(116)،قال السيوطي: "قابل الجنات والأنهار والخلد والأزواج والتطهير والرضوان بأزاء النساء والبنين والذهب والفضة والخيل المُسوّمة والأنعام والحرث"(117).

الشهوات، النساء، البنين، الذهب، الفضة، الخيل، الانعام ← متاع الحياة الدنيا

↓ ↓

الجنات، والانهار، الخلود، والأزواج المطهرة ، والرضوان ←الآخرة ونعيمها الباقي(حُسن المآب)

سادساً- مظاهر التناسق الزمني

ترتسم ملامح التناسق الزمني في تصوير المشهد القرآني للحياة الدنيا عبر الوصف السريع الخاطف المتناسق مع الأدوات البلاغية والسياق اللفظي الذي ينساب بألفاظ وحروف مُطاوعة للمعنى والغرض والمشهد الصوري، والآيات التي سبق ذكرها جاءت بوصف بلاغي ينساق وينصّب مع المعنى ليكوّن الصورة المرجوّة .

والتناسق الزمني: هو أن يكون مُدّة عرض الصورة، متناسباً مع الغرض الذي سيقت من أجلهِ، والمعنى الذي تصوره، فقد يعرض الصور عرضاً بطيئاً في تراخٍ حينما يستدعي الغرض ذلك، وقد يعرض عدداً من المشاهد سريعاً خاطفاً، تناسقاً مع المعنى الذي يصوره، فالحياة الدنيا في زوالها وسرعة انقضائها كالنبات الذي نبتَ ثم أصفرَّ وييبسَ فجأةً، فإذا به حُطاماً تذروهُ الرياح(118)،والسرعة الخاطفة في الحياة الدنيا تستدعي الوقوف والتأمل، كقوله تعالى: **{وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا}**(119)، فيستعمل (الفاء) ليزيد من سرعة عرض الصورة، فالفاء تفيد الفورية وتقصير المشهد بحذف المسافة الزمنية في(فاختلط) و(فأصبح هشيماً) فلا يُبقي مدّة زمنية بين ظهور النبات وتكاثفه وخضرته ونضارته وبين اصفراره ويبسته وذهابه مع الرياح، وهذا التناسق الزمني جاء ملائماً لغرض مشهد تقصير الحياة الدنيا، فيُقصّر الفاصل الزمني بل يلغيه، ليُسرّع من عرض المشهد الصوري ويُخرج الصورة الملائمة من الغرض الذي أفاد سرعة زوال الحياة الدنيا،

ونلاحظ ذلك في قوله تعالى: {**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ**}(120)، فالصورة ترسم المشهد الذي يتلاءم مع الغرض بين سرعة أمرهِ تعالى في الخلق (فسلكه ينابيع)، وبين مُدّة السقي والانبات ب(ثم يخرج به زرعاً) و(ثم يهيج فتراهُ مُصفرّاً) و(ثُمَّ يجعلهُ حُطاماً) فالمشهد الصوري يقتضي التمهل والإمعان في خلق الله وقدرته عبر استعمال (ثم) التي أفادت التعقيب والتراخي في عرض المراحل مع فاصل زمني ليكتمل المشهد الذي يقتضي عرض الصورة، ويفيد التدرج في الوصف، ليقول لهم: أن هذا الذي تعجبون به من أمر الدنيا وتستطيلون مُدتهُ إنما هو في حقيقته قصير زائل، وهو يُشابه أحوال النبات من ظهوره وحتى ذهابه هباءً وتصييرهِ حُطاماً :

ينابيع الماء التي تسقي الزرع وتنبته← خروج الزرع بُعَيد السقي← اصفرار الزرع ←حُطام الزرع.

ويتكرر المشهد مع سورة الحديد في الآية العشرون، وسورة يونس في الآية الرابعة والعشرون، حتى يتلاشى وقت العرض مع قوله تعالى: { **أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ**}(121)، فلا يُبقي فاصل زمني بين التكاثر والمقابر، ف(حتى) تُفيد انتهاء الغاية الزمانية والمكانية، فهذه الصورة تصوّر الحياة الدنيا فما كادت لتبتدئ بالتكاثر، حتى انتهت بالمقابر، وهذا أقصّر ما تصوّر به الحياة الدنيا مع أقل الألفاظ وتكثيف الصورة بين الحياة والممات، ولنا أن نتخيل المتناقضان التكاثر والانغماس بالملهيات والملذات والمغريات والحركة والظلال والألوان، والمقابر والسكون والانطفاء والعتمة، فتُختزل الصورة عبر تكثيف المشهد بين (التكاثر والمقابر) فكلاهما تحقق في هذا المشهد الذي كثّفَ الصورة بأقل الألفاظ، وهذا من بديع إعجازه تعالى في الوصف، قال الجرجاني يصف القرآن الكريم: "إنَّ له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله لمُغدق، وإن أعلاهُ لمُثمر، إنَّما كان لشيء راعهم من مواقع حركاتهِ ومن ترتيب بينها وبين سكناته، أم لفواصل في أواخر آياتهِ .... أم تُرى أنهم لذلك قالوا: لا تُفنى عجائبهُ، ولا يَخْلِقْ على كثرَّة الرَّد" (122).

الخاتمة

تصل رحلتي الممتعة مع الصور القرآنية الزاخرة بالتصوير الاعجازي البديع في رسم مظاهر الحياة الدنيا التي هي مزرعة للآخرة وحصد الأعمال إلى جملة من النتائج، نجملها بما يأتي:

1-يفضي تكرار مظاهر الحياة الدنيا إلى حقيقة واضحة وجليّة يُحاول النص القرآني اثباتها ألَا وهي محدودية الحياة الدنيا واقتصارها على هذا الوصف، والتحذير منها والتحقير والتقليل من شأنها.

2-جاءت الأوصاف القرآنية للحياة الدنيا مقصورة بالسياقات اللفظية المُحيلة إلى المعاني الجوهرية وهي (اللعب، واللهو، والتفاخر، والتكاثر، والزينة، والزهرة، والمتاع، والغرور)، وهذه الألفاظ استُعملت حسب السياق القرآني، والغرض الديني من الآية الكريمة، وجاءت متناسقة مع المقام والغرض، فكان السياق ينساق ويأتلف مع المعنى لتحديد الغرض.

3-تنوعت السياقات المعنوية بين، التحقير والتقليل من شأن الحياة الدنيا، والتقلّب وعدم الثبات، والزوال والفناء، ورضا الانسان واطمئنانه لها، والتحذير من الخلود والركون إليها، وجاءت جميع هذه الأوصاف بأسلوب المُقايسة بين متاع الدنيا الفاني ونعيم الآخرة الباقي.

4-جاءت الأوصاف جميعها في مقام ضرب المثل للموعظة منها والاتعاظ مما يحدث ، فقد جعل الحياة الدنيا معادلاً لحياة النبات، فجعل من سرعة ذبول واصفرار النبات ويباسه وذهابه حطاماً مع الرياح، أو رماداً، تماماً كسرعة زوال الحياة الدنيا، أو أن حياة النبات معادلاً موضوعياً لحياة الإنسان ورحلتهِ القصيرة في هذه الدنيا، وتدرجهِ بين الطفولة والصبا والشباب والأشُد والكهولة، فهو كالنبات في ظهورهِ وينعته واخضراره وكثافتهِ ومن ثم ذبوله واصفراره وسقوطه.

5-إن مُعظم الأوصاف جاءت بأسلوب القصر ب(إنّما) والاستثناء المنفي ب(إلّا) مع (ما) النافية التي تفيد التوكيد على حصر دلالة الحياة الدنيا وقصرها على هذهِ الالفاظ المذكورة سابقاً.

6-مَثَّلَ الجانب الفني والتصوير البلاغي والفني غرضاً مُطاوعاً ومُتحداً مع المعنى والسياق، أو إنه جاءَ مُطاوعاً للمعنى من الصور التشبيهية والاستعارية والكنائية والمجازية، فزخم الأساليب الفنية أظهرت وأوضحت الصورة.

7-أغلب الصور الفنية المستعملة في رسم صورة الحياة الدنيا جاءت بالصورة التشبيهية، إن لم أقُل جميعها، وهذا تناسب تماماً مع غرض الوصف؛ لقُرب التشبيه ووضوحه من المتلقي، فهو يتناسب مع قُرب الحياة الدنيا وأوصافها التي نُشاهدها ونعيشها يومياً.

8-إن الصورة التشبيهية جاءت بأوصاف حسية ملموسة قريبة من المتلقي، فلم يصفها(تعالى) بأوصاف بعيدة، أو غير مرئية؛ لأنها مشهودة، كما أن الصور التشبيهية جاءت مقلوبة فيُشبه الحياة الدنيا بالغيث والمطر والزرع، مما أفاد

تحقيرها وسرعة زوالها؛ لسرعة زوال المُسببات والمُشبهات، ولرُبَّما لما في المطر والغيث من حياة للمخلوقات تتناسب مع دلالة الحياة، وأغلبها جاء من التشبيه التمثيلي الذي يُمثّل وصف حالة مركبة أو هيئة، مما عزز من إخراج الصورة وتناسبت الصورة التشبيهية التمثيلية مع الغرض المشهدي.

9-جاءت الصور الاستعارية والمجازية متداخلة متحدة مع المعنى والغرض الفني والموضوعي، والصورة الكنائية انبثقت عن الصور المجازية والاستعارية، وأسهمت بشكلٍ مباشر في رسم صورة الحياة الدنيا.

10-تناسقت الألفاظ والأساليب والمعاني والصور الفنية وجاءت طوعاً للمعنى السياقي الذي أخرج الحياة الدنيا بصورة السرعة والزوال والفناء والمحدودية، فيستعمل (الفاء) التي تفيد السرعة دون فاصل زمني، و(ثم) التي تفيد التعقيب مع التراخي في وصف الزمن، ويرسم صوراً تؤدي إلى المعاني المحيلة إلى الدلالات السريعة الخاطفة كتشبيه الحياة بالزرع والنبات والمطر والغيث وذهابها هباءً مع الرياح وتصييرها رماداً، وهذا هو التناسق الزمني مع الغرض.

11-أغلب الصور جاءت مفعمة بالتضاد والتقابل والطباق؛ ليوَّضِح الفجوة العميقة ما بينَ الحياة الدنيا والآخرة، فيُقابل بالأوصاف بين متاع الدنيا الفاني، ونعيم الآخرة الباقي.

12-إن صورة الحياة الدنيا في القرآن الكريم هي ممر ومعبر للآخرة، فلم تنهنا الآيات القرآنية الكريمة عن الحياة الدنيا والتمتع بما فيها، ولم يذم الحياة الدنيا، لكن شرطَ أن لا تتعارض مع القيم الاسلامية وأن لا تُلهينا عن الآخرة، فما فيها من متاع لا يجزي عمّا عند الله من خير الجزاء والثواب.

الهوامش

1-كتاب العين ، مرتباً على حروف المعجم ، تأليف : عبد الرحمن بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ)، تح: د. عبد الحميد الهنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ط1، 2003م:مادة ظهر.

2-معجم مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت295هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر (د.ت): مادة ظهر .

3- أساس البلاغة ، تأليف أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، تح: محمد الباسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م: ج1/مادة ظهر.

4-سورة الحديد :3.

5-لسان العرب، ابن منظور ، ط4، دار صادر بيروت ، 2005م: مادة ظهر.

6-المظاهر البديعية في خطب الإمام علي (ع)، دراسة بلاغية، حيدر أحمد حسين الزبيدي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 2013م :19.

7-ظاهرة البديع عند الشعراء المُحدثين، دراسة بلاغية نقدية، د. محمد الواسطي، دار المعرفة للنشر والتوزيع، مكتبة الحرم المكي، الرياض، المملكة العربية(د.ت):41.

8-لسان العرب :مادة حيي، وينظر: معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس ،تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر،1979م، باب الحاء والياء وما يثلثهما (122/2).

9-التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزميلي، دار الفكر المعاصر ،دمشق،ط2، 1418هـ :10/29.

10-لسان العرب: مادة دنا.

11-سورة الحج:11.

12-المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني(ت502هـ)، تح: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة ، بيروت:172.

13-زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن الجوزي(ت597هـ)، تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت،ط1، 1422هـ: 512/2.

14-يُنظر: التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم، دراسة دلالية مقارنة، مكتبة المنار، الأردن، ط1، 1985م: 349،350.

15- سورة فاطر: 5.

16-سورة القصص: 60.

17-سورة الأنعام: 32.

18-سورة الكهف :45.

19-سورة النمل: 107.

20-سورة إبراهيم: 3.

21-سورة القصص :79.
22-سورة البقرة: 96.
23-سورة لقمان :33.
24-سورة فاطر: 5.
25-سورة الزمر: 21.
26-سورة الكهف: 42.
27-سورة العنكبوت: 64.
28-الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للعلّامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري(ت538ه)، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1998م:(ج560/4).
29- سورة غافر: 39.
30-سورة الأعلى (16،17).
31-لسان العرب: مادة لها، وينظر: التعريفات ، تأليف السيد الشريف علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني الحنفي (ت816ه)، تح: محمد الباسل عيون السود، دار الكتب العملية، بيروت، ط2، 2003م :194.
32-المفردات في غريب القرآن :455.
33-التحرير والتنوير، الامام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، 1984م :ج30/21،31.
34-لسان العرب :مادة لعب، وينظر: معجم مقاييس اللغة : (253/5،254).
35-عمدة الحافظ في تفسير أشرف الألفاظ، لأبي العبّاس أحمد بن يوسف بن عبد الدايم، شهاب الدين المعروف بالسمين، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط1، 1996م: (45/4).
36- سورة العنكبوت:63،64.
37- التحرير والتنوير :(ج30/21،31).
38-سورة الحديد: 20.
39-التحرير والتنوير: (ج400/27،401).
40- التحرير والتنوير:(ج27/ 401).
41-على طريق التفسير البياني، د. فاضل صالح السامرائي، جامعة الشارقة، 2002م، (ج275/1).
42- سورة الأنعام :32.
43-سورة الأنعام:29.
44-موسوعة التفسير البلاغي، تأليف نخبة من علماء مجمع القرآن الكريم بالشارقة، منشورات القاسمي، الامارات، ط1، 2023م : (مج521/10).
45- موسوعة التفسير البلاغي : (مج10/ 523).
46-لسان العرب: مادة زين ، وينظر: معجم مقاييس اللغة (41/3).
47-المفردات في غريب القرآن :218.
48- التحرير والتنوير: (ج402/27).
49-التحرير والتنوير: (ج403/27).
50-سورة التكاثر :1
51-التحرير والتنوير: (ج403/27).
52-المفردات في غريب القرآن :212.
53-سورة الحديد: 20.
54-سورة يونس: 24.
55-سورة آل عمران: (14،15).
56-لسان العرب : مادة متع.
57-المفردات في غريب القرآن:461.
58-التفسير البسيط، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي(ت468ه)، تح:د. محمد بن صالح، الرياض، 1430ه، (399/2).
59-نظرة القرآن الكريم إلى الدنيا وأثرها في الشعر العربي إلى نهاية عصر الراشدين، اطروحة دكتوراه، ثابت محمد صغير مقبل،1995م، (93،94).
60-لسان العرب: مادة غرر.
61-المفردات في غريب القرآن: 359.
62-سورة الحديد: 20.
63-سورة آل عمران: 185.
64-سورة الزخرف: (33،34،35).

65-تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي(ت 375هـ)، تح: الشيخ علي محمد معوض، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، د. زكريا عبد المجيد، دار الكتب العلمي، بيروت، ط1، 1993م :207.
66- سورة الرعد :26.
67-سورة الأعراف: 51.
68-سورة الواقعة: (58-74).
69- التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، دار الشروق، (د.ت):36.
70- الطبيعة في القرآن الكريم ، د. كاصد ياسر الزيدي، دار الرشيد للنشر، العراق، 1980م:458.
71- أساس البلاغة: (ج1/493).
72-المُفصّل في علوم البلاغة(المعاني، والبيان، والبديع)، د. عيسى علي العاكوب، دمشق، (د.ت):381.
73-الاتقان في علوم القرآن، الحافظ جلال الدين السيوطي(ت911هـ)،تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، وزارة الشؤون الاسلامية والأوقاف، السعودية، (د.ت) :(مج3/ 128).
74-سورة يونس: 24.
75-التحرير والتنوير: (11/140).
76- سورة الفرقان: 23.
77- مفاتيح الغيب، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، الامام محمد الرازي فخر الدين(ت604هـ)، دار الفكر، لبنان ،ط1، 1981م: (17/76،77).
78-ينظر: الكناية في القرآن الكريم ، موضوعاتها ودلالتها البلاغية، د. أحمد فتحي رمضان الحيّاني، دار غيداء للنشر والتوزيع، 2013م: 125.
79-سورة الكهف: 45.
80-ينظر: التصوير الفني في القرآن الكريم: 129،130.
81-تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم: 328.
82-سورة الحديد: 20.
83- التصوير الفني في القرآن الكريم:130.
84-التحرير والتنوير: (ج27/406).
85- النكت في اعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن، لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني (ت386هـ)، تح: محمد خلف أحمد، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر،ط3، القاهرة (د.ت) :84.
86- النكت في اعجاز القرآن:85.
87-أسرار البلاغة في علم البيان، الامام عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني(ت471هـ)،تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1، 2001م: 31.
88-الاتقان في علوم القرآن: (مج3/134).
89-أسرار البلاغة :280.
90-سورة آل عمران:185.
91-أسرار البلاغة:39.
92-سورة يونس:24.
93-سورة الرعد:26.
94-سورة هود:15،16.
95-أسرار البلاغة:278.
96-أسرار البلاغة:249.
97-سورة التوبة: 32.
98-سورة البقرة: 16.
99-دلائل الاعجاز، تأليف الشيخ الامام عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني(ت471هـ)،تح : محمود محمد شاكر،(د.ت):66.
100-الإيضاح في علوم البلاغة(المعاني والبيان والبديع)،تأليف الخطيب القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمن(ت739هـ)،تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2002م: 241.
101-سورة الكهف: (32-42).
102-سورة الزمر: 21.
103-الكناية في القرآن الكريم: 124.
104- سورة طه:131.
105-الاتقان: (مج3/285).
106-الاتقان: (مج3/284).

107-البلاغة والتطبيق، د. أحمد مطلوب، د. كامل حسن البصير، مطابع بيروت الحديثة، ط1، 2009م:422.
108-- في الشعرية ، كمال أبو ديب ، مؤسسة الأبحاث العربية ، ط1، بيروت ، لبنان ، 1987م، ص(20،21)، وينظر: ص45 من المصدر نفسه.
109-سورة الكهف: 8.
110-سورة غافر :39.
111-سورة الأعلى: 16،17.
112-سورة العنكبوت: 64.
113-سورة الأنعام: 32.
114- الكشّاف: (ج4/560).
115- في الشعرية: 47.
116- سورة آل عمران: (14،15).
117- الاتقان: (مج3/286).
118-الطبيعة في القرآن الكريم: 476.
119-سورة الكهف: 45.
120-سورة الزمر:21.
121-سورة التكاثر :1،2.
122-دلائل الاعجاز: 388،389.

المصادر

- القرآن الكريم
- الاتقان في علوم القرآن، الحافظ جلال الدين السيوطي(ت911هـ)،تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، وزارة الشؤون الاسلامية والأوقاف، السعودية، (د.ت).
- أساس البلاغة ، تأليف أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، تح: محمد الباسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.
- أسرار البلاغة في علم البيان، الامام عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني(ت471هـ)،تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1، 2001م.
- الإيضاح في علوم البلاغة(المعاني والبيان والبديع)،تأليف الخطيب القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمن(ت739هـ)،تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2002م.
- البلاغة والتطبيق، د. أحمد مطلوب، د. كامل حسن البصير، مطابع بيروت الحديثة، ط1، 2009م.
- التحرير والتنوير، الامام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، 1984م.
- التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، دار الشروق، (د.ت).
- التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم، دراسة دلالية مقارنة، مكتبة المنار، الأردن، ط1، 1985م.
- التعريفات ، تأليف السيد الشريف علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني الحنفي(ت816هـ)، تح: محمد الباسل عيون السود، دار الكتب العملية، بيروت، ط2، 2003م.
- التفسير البسيط، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي(ت468هـ)، تح:د. محمد بن صالح، الرياض، 1430هـ.
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزميلي، دار الفكر المعاصر،دمشق،ط2، 1418هـ.
- دلائل الاعجاز، تأليف الشيخ الامام عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني(ت471هـ)،تح : محمود محمد شاكر،(د.ت).
- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن الجوزي(ت597هـ)، تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت،ط1، 1422هـ.
- الطبيعة في القرآن الكريم ، د. كاصد ياسر الزيدي، دار الرشيد للنشر، العراق، 1980م.

- ظاهرة البديع عند الشعراء المُحدثين، دراسة بلاغية نقدية، د. محمد الواسطي، دار المعرفة للنشر والتوزيع، مكتبة الحرم المكي، الرياض، المملكة العربية(د.ت).
- على طريق التفسير البياني، د. فاضل صالح السامرائي، جامعة الشارقة، 2002م.
- عمدة الحافظ في تفسير أشرف الألفاظ، لأبي العبّاس أحمد بن يوسف بن عبد الدايم، شهاب الدين المعروف بالسمين، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط1، 1996م.
- في الشعرية ، كمال أبو ديب ، مؤسسة الأبحاث العربية ، ط1، بيروت ، لبنان ، 1987م.
- كتاب العين ، مرتباً على حروف المعجم ، تأليف : عبد الرحمن بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ)، تح: د. عبد الحميد الهنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ط1، 2003م.
- الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للعلّامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري(ت538هـ)، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1998م.
- الكناية في القرآن الكريم ، موضوعاتها ودلالتها البلاغية، د. أحمد فتحي رمضان الحيّاني، دار غيداء للنشر والتوزيع، 2013م.
- لسان العرب، ابن منظور ، ط4، دار صادر بيروت ، 2005م.
- المظاهر البديعية في خطب الإمام علي (ع)، دراسة بلاغية، حيدر أحمد حسين الزبيدي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 2013م.
- معجم مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت295هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر (د.ت).
- مفاتيح الغيب، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، الامام محمد الرازي فخر الدين(ت604هـ)، دار الفكر، لبنان ،ط1، 1981م.
- المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني(ت502هـ)، تح: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة ، بيروت.
- المُفصّل في علوم البلاغة(المعاني، والبيان، والبديع)، د. عيسى علي العاكوب، دمشق، (د.ت).
- موسوعة التفسير البلاغي، تأليف نخبة من علماء مجمع القرآن الكريم بالشارقة، منشورات القاسمي، الامارات، ط1، 2023م.
- نظرة القرآن الكريم إلى الدنيا وأثرها في الشعر العربي إلى نهاية عصر الراشدين، اطروحة دكتوراه، ثابت محمد صغير مقبل،1995م.
- النكت في اعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن، لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني،(ت386هـ)، تح: محمد خلف أحمد، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر،ط3، القاهرة (د.ت) .